الإمام الحسن السبط الأكبر، أولى الريحانتين

الحرم النبوي الشريف وأضرحة أئمة المسلمين في البقيع

فهرس الملف

* الصلاة على الإمام الحسن عليه السلام
* مَلامِحُ حَسَنيّة
* الإمام الحسن عليه السلام كما عرَّفه رسول الله صلى الله عليه وآله
* الحسنان.. نوران من نور الله..
* الحسنان...ما سِرُّ هذه التثنية النَّبويَّة؟
* هَيْبَةُ الإمام الحسن.. نبويَّة
* الكوفة عشيّة بيعة الإمام الحسن عليه السلام
* السِّبط الأكبر من الولادة إلى الشهادة
* بُغاثُ الطّير انقَضَّ عليها أَجْدَل

الصلاة
على الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

اللّهُمَّ صَلِّ عَلى الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ عَبْدَيْكَ وَوَلِيَّيْكَ، وَابْنَيْ رَسُولِكَ وَسِبْطَي الرَّحْمَةِ وَسَيِّدَي شَبابِ أَهْلِ الجَنَّةِ أَفْضَلَ ما صَلَّيْتَ عَلى أَحَدٍ مِنْ أَوْلادِ النَّبِيِّينَ وَالمُرْسَلِينَ.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلى الحَسَنِ بْنِ سَيِّدِ النَّبِيِّينَ وَوَصِّي أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ. السَّلامُ عَلَيْكَ يا ابْنَ رَسُولِ اللّه، السَّلامُ عَلَيْكَ يا ابْنَ سَيِّدِ الوَصِيِّيَنَ، أَشْهَدُ أَنَّكَ يا ابْنَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ أَمِينُ اللّه وَابْنُ أَمِينِهِ، عِشْتَ رشيداً مَظْلُوماً وَمَضَيْتَ شَهِيداً، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ الإمام الزَّكِيُّ الهادِيُ المَهْدِيُّ.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَبَلِّغْ رُوحَهُ وَجَسَدَهُ عَنِّي فِي هذِهِ السَّاعَةِ أَفْضَلَ التَّحِيَّةِ وَالسَّلامِ.

من الصلوات الكبيرة على المعصومين عليهم السلام
إملاء الإمام الحسن العسكري عليه السلام على بعض أصحابه.

مَلامحُ حَسَنيّة

موجز يلخّص أبرز الخطوطَ العامة في سيرة السبط الأكبر عليه السلام

*** أبوه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأمّه الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله.**

* في السنة الثالثة للهجرة النبويّة، كان مولده المبارك.

* وفي السنة التاسعة والأربعين للهجرة، كانت شهادته مسموماً، بمكرٍ من معاوية، ومروان بن الحكم.

* عن أنس قال: لم يكن أحد أشبه بالنبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم من الحسن بن علي. خرّجه البخاري والترمذي.

وعنه قال: كان الحسن بن علي من أشبههم وجهاً بالنبي صلّى الله عليه [وآله] وسلّم.

* وكان الحسن أبيض مشرباً بحُمرة، أدْعَجَ العينين، سهْلَ الخدَّين، دقيق المسربة، كثَّ اللحية، ذا وفرة، كأن عنقه إبريق فضة، عظيم الكراديس، بعيدَ ما بين المنكبين، رِبْعَةً ليس بالطويل ولا بالقصير، من أحسن الناس وجهاً.

* بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه عليه السلام، فقام بالأمر -على قصر عهده- أحسن قيام.

* قال واصل بن عطاء: كان الحسن بن علي عليه السلام، عليه سيماء الأنبياء وبهاء الملوك.

* قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لو كان العقل رجلاً لكان الحَسن**».

*** صالح معاوية في الخامس عشر من شهر جمادى الاولى سنة ٤١ - على أصح الروايات - فحفِظ الدين، وحقنَ دماء المؤمنين، وجرى في ذلك وفق التعاليم الخاصة التي رواها عن أبيه عن جدّه صلّى الله عليهما (وآلهما).**

*** أمره أبوه أمير المؤمنين عليه السلام - عندما أصيب في المسجد - أن يصلّي بالناس.**

*** كانت خلافته "الظاهرة" سبعة أشهر وأربعة وعشرين يوماً.**

*** رجع بعد توقيع الصلح إلى المدينة، فأقام فيها، وبيتُه حرمُها الثاني لأهلها ولزائريها، والحسن من هذين الحرمين، مشرقُ الهداية، ومعقلُ العلم وموئلُ المسلمين. ومن حوله الطوائف التي نفرت من كلّ فرقة لتتفقّه في الدين، ولتنذر قومها إذا رجعت إليهم، فكانوا تلامذته وحَمَلَة العلم والرواية عنه.**

* كان إذا صلّى الغداة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله جلس في مجلسه، يذكر الله حتى ترتفع الشمس، ويجلس إليه من يجلس من سادات الناس يحدّثهم. قال ابن الصباغ في (الفصول المهمّة): ويجتمع الناس حوله، فيتكلّم بما يُشفي غليل السائلين ويقطع حُجَج المجادلين.

* وكان إذا حجّ وطاف بالبيت، يكاد الناس يحطمونه ممّا يزدحمون للسلام عليه، صلوات الله عليه.

* قال أبو الفرج الأصفهاني: وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد، فلم يكن شيءٌ أثقل عليه من أمر الحسن بن علي وسعد بن أبي وقاص، فدسّ إليهما سمّاً فماتا منه.

وللدواهي النكر من هذا النوع، صدماتها التي تهزّ الشعور وتوقظ الألم، وتجاوبت الأقطار الاسلاميّة أسى المصيبة الفاجعة، فكان لها في كل كورة مناحة تنذر بثورة، وفي كلّ عقد من السنين ثورة تنذر بانقلاب. والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿.. **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ** ﴾ الشعراء:٢٢٧.

* دُفن في "بقيع الغرقد" المعروف بالبقيع، مقابل حرم الرسول صلى الله عليه وآله من الجهة الشرقية، بعدما منع تحريض مروان بن الحكم، الذي كان معاوية قد خطّط معه لهذا المنع، والسبب هو ما صرّح به مروان بن الحكم بقوله: إن الحسين يريد أن يدفن أخاه الحسن عند جدّه، والله لَئِن دفنَه ليذهبنَّ فخرُ أبيكِ وصاحبه "..." إلى يوم القيامة.

وقد هدم الوهابيّون في بداية حكم آل سعود القباب التي كانت على قبر الإمام الحسن والأئمّة من وُلد الحسين؛ السجاد والباقر والصادق عليهم السلام. وما تزال كل القلوب المحمديّة في شرق الأرض وغربها تنتظر خروج الحكم في الحجاز من تبعات هذه الإساءة النّكراء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، والتي ورّطه فيها الوهابيّون الخوارج.

* يقول الإمام الخميني قدس سره: **عندما حال البطّالون بين الإمام الحسن عليه السلام وبين ما أراد تحقيقه، صالح معاوية مشترطاً عليه تلك الشروط التي فضحت معاوية، بمقدار ما فضحَ سيدُ الشهداء يزيد.**

الإمام الحسن عليه السلام
كما عرَّفه رسول الله صلى الله عليه وآله

استقبل سيد النبيّين ولادة الإمام الحسن بفرحة الوحي والنبوّة بحامل راية النبوّة في أحلك ظرف تواجهه الأمّة من بعده، ولطالما حذَّر رسول الله من هذا الظرف، ومن المُلك العَضُوض الذي يبدأ مع تحكّم آل أبي سفيان وبني العاص بمصائر المسلمين، لِتُحقِّق قريش بواسطة هذا المُلك ما عجزت عن تحقيقه خلال كلّ حروبها بقيادة أبي سفيان.

ما يلي مقتطفات من الحديث النبويّ الشريف عن الإمام الحسن عليه السلام:

* قال رسول الله صلّى الله عليه وآله، عند ولادته عليه السلام، مبادراً: «يا أسماء هاتي ابني»، أو «هلمّي ابني».

* نزل الوحي بتسميته عليه السلام: «سَمِّه حسناً».

* أللّهمّ إنّ هذا ابني وأنا أُحبُّه، فَأَحِبَّه، وأحبَّ من يحبُّه.

* لو كان العقل رجلاً لكان الحسن.

* وقال صلى الله عليه وآله للإمام الحسن عليه السلام: أشبهت خَلْقي وَخُلُقي

* وهو سيد شباب أهل الجنة، وحجّة الله على الأمّة، أمرُه أمري، وقولُه قولي، مَن تَبِعَه فإنّه مني، ومن عصاه فإنه ليس منّي.. الخ.

* أما الحسن فله هيبتي وسؤدُدي ، وأما الحسين فله جودي وشجاعتي.

* لعليّ وفاطمة والحسنين عليهم السلام: أنا سلمٌ لمن سالمتم، وحربٌ لمن حاربتم.

*عن أنس بن مالك قال: دخل الحسن على النبيّ صلّى الله عليه وآله، فأردتُ أن أميطه عنه، فقال صلى الله عليه وآله: ويحك يا أنس، دع ابني، وثمرة فؤادي، فإنّ من آذى هذا آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله.

* للحسين عليه السلام: أنت سيّد، ابنُ سيّد، أخو سيّد، وأنت إمام، ابنُ إمام، أخو إمام، وأنت حجّة، ابن حجّة، أخو حجّة، وأنت أبو حُجَجٍ تسعة، تاسعُهم قائمهم.

* وعنه صلّى الله عليه وآله: وأمّا الحسن فإنّه ابني، وولَدي، و بضعة مني، وقُرَّةُ عيني، و ضياء قلبي، و ثمرة فؤادي، وهو سيد شباب أهل الجنّة، و حجّة الله على الأمّة، أمره أمري، وقوله قولي، مَن تَبِعَه منّي، ومن عصاه فليس منّي. فمن بكاه لم تَعْمَ عينُه يوم تعمى العيون، ومن حزن عليه لم يحزن قلبه يوم تحزن القلوب، ومن زاره في بقيعه ثبتت قدمُه على الصراط، يوم تزلّ فيه الأقدام.

الحسنان عليهما السلام

نـوران من نـور الله..

السيد منذر الحكيم*

حبّ أهل البيت عليهم السلام هو الأساس الأقوى لتوحيد أمة الإسلام المحمديّة، وموقع الحسنين من منظومة أهل البيت وأهل الكساء، في الصميم، وعلى هذا تعاقبت الأجيال، وكرّت سبحة العصور. والأمّة اليوم كما كانت في جميع الأدوار، مدعوّة إلى التوحّد على حبّ الإمام الحسن والإمام الحسين، وأهل البيت جميعاً، لتصل بهم ومعهم إلى رسول الله، وعلى أعتابه صلّى الله عليه وآله، إلى حقيقة كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة.

لم تتّفق كلمة المسلمين في شيء كاتّفاقهم على فضل أهل البيت وعلوّ مقامهم العلميّ والروحيّ، واشتمالهم على مجموعة الكمالات التي أراد الله للإنسانية أن تتحلّى بها.

ويعود هذا الإتّفاق إلى جملة من الأصول، منها تصريح الذكر الحكيم بالموقع الخاص لأهل البيت عليهم السلام من خلال النصّ على تطهيرهم من الرجس، وأنّهم القُربى الذين تجب مودّتهم كأجرٍ للرسالة التي أتحف الله بها الإنسانية جمعاء، وأنّهم الأبرار الذين أخلصوا الطاعة لله، وخافوا عذاب الله وتحلّوا بخشية الله، فَضَمِن لهم الجنّة والنجاة من عذابه.

والإمام الحسن المجتبى عليه السلام هو أحد أهل البيت المطهّرين من الرجس بلا ريب، بل هو ابن رسول الله بنصّ آية المباهلة التي جاءت في حادثة المباهلة مع نصارى نجران، وقد خلّد القرآن الكريم هذا الحدث في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ آل عمران:٦١. وروى جمهور المحدِّثين والمفسّرين بطرق مستفيضة أنّها نزلت في أهل البيت عليهم السلام وهم: رسول الله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، والأبناء هنا هما الحسنان بلا ريب.

وتضمّن هذا الحدث تصريحاً من الرسول صلى الله عليه وآله بأنّهم خير أهل الأرض وأكرمهم على الله، ولهذا فهو يباهل بهم، واعترف أُسقف نجران أيضاً قائلاً: «إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله».

وهكذا دلّت القصة كما دلّت الآية على عظيم منزلتهم وسموّ مكانتهم وأفضليتهم، وأنّهم أحبّ الخلق إلى الله ورسوله، وأنّهم لا يدانيهم في فضلهم أحدٌ من العالمين.

ولم ينصّ القرآن الكريم على عصمة أحد غير النبي صلى الله عليه وآله من المسلمين سوى أهل البيت عليهم السلام الذين أراد الله أن يطهّرهم من الرجس تطهيراً. ومن هنا نستطيع أن نفهم السرَّ الكامن في وجوب مودّتهم والالتزام بخطّهم، وترجيح حبّهم على حبّ من سواهم بنصّ الكتاب العزيز، فإنّ عصمة أهل البيت عليهم السلام أدلّ دليل على أنّ النجاة في متابعتهم حينما تتشعّب الطرق وتختلف الأهواء، فمَن عصمه الله من الرجس كان دالّاً على

* أستاذ في الحوزة العلميّة

النجاة وكان مُتّبعُه ناجياً من الغرق.

ونصّ النبيّ ﷺ - كما عن ابن عباس - بأنّ آية المودّة في القربى حينما نزلت، وسأله بعض المسلمين عن المقصود من القرابة التي أوجبت على المسلمين طاعتهم فأجاب قائلاً: إنّهم عليّ وفاطمة وابناهما.

ولا يتركنا القرآن الحكيم حتى يبيّن لنا أسباب هذا التفضيل في سورة الدهر التي نزلت لبيان عظمة الواقع النفسي الذي انطوى عليه أهل البيت، والإخلاص الذي تقترن به طاعتهم وعباداتهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ الإنسان:٩-١٢.

لقد روى جمهور المفسّرين والمحدّثين أنّ هذه السورة المباركة نزلت في أهل البيت عليهم السلام بعدما مرض الحسنان، ونذر أمير المؤمنين صيام ثلاثة أيام شكراً لله إن بَرئا، فوفَوا بنذرهم أيّما وفاء، وفاءً فيه أروع أنواع الإيثار، حتى نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ الإنسان:٥-٧، فشكر الله سعيَهم على هذا الإيثار والوفاء بما أورثهم في الآخرة، وبما حباهم من الإمامة للمسلمين في الدنيا حتى يرثَ الأرض ومن عليها.

***

عن جابر عن النبيّ ﷺ: «إنّ الله خلقني وخلق عليّاً نورَين بين يدَي العرش، نسبّح الله ونقدّسه قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فلمّا خلق الله آدم أسكننا في صُلبه، ثم نقلنا من صُلب طيّب وبطن طاهر حتى أسكننا في صلب إبراهيم، ثم نقلنا من صُلب إبراهيم إلى صلب طيّب وبطن طاهر حتى أسكننا في صُلب عبدالمطلّب، ثمّ افترق النور في عبد المطّلب، فصار ثُلثُاه في عبدالله وثُلثُه في أبي طالب، ثمّ اجتمع النور منّي ومن عليّ في فاطمة، فالحسن والحسين نوران من نور ربّ العالمين».

.. والتسمية إلهيّة

* قال ابنُ الأثير في (أُسد الغابة):

الحسنُ بنُ عليِّ بنِ أبي طالب بنِ عبد المطّلب بنِ هاشم بنِ عبد مناف، القرشيّ الهاشميّ، أبو محمّد، سبطُ النبيِّ ﷺ.

وأمُّه، فاطمة بنت رسول الله ﷺ، سيدةُ نساءِ العالمين.

وهو سيِّد شباب أهل الجنّة، وريحانةُ النبيِّ ﷺ، وشبيهُه.

سمّاه النبيّ ﷺ **الحسن**، وعَقَّ عنه يومَ سابعِه، وحلق شعرَه، وأمر أن يُتصدَّق بِزِنَة شعرِه فضّة.

وهو (رابع) أهل الكساء.

* قال أبو أحمد العسكريّ:

سمّاه النبيّ ﷺ، **الحسن**، وكنّاه **أبا محمد**، ولم يكن يُعرف هذا الإسم في الجاهليّة.

* رُوي عن ابن الأعرابي، عن المفضل، قال: إنّ الله حجبَ اسمَ **الحسن** و**الحسين**، حتى سمّى بهما النبيُّ ﷺ ابنيه **الحسنَ** و**الحسين**: قال، فقلت له: فاللذَين باليمن؟

قال: ذاك حُسْن، ساكن السّين، وحَسِين بفتح الحاء، وكسر السين، ولا يُعرف قبلهما.

الحسنان...
ما سِرُّ هذه التثنية النَّبويَّة؟

أودع رسول الله صلّى الله عليه وآله في صلب عقول الأجيال وأفئدتها الإعتقاد بالحسنين، ووجوب حبِّهما عليهما السلام، وطالما تحدّث عنهما معاً، وطالما رآه الصحابة يحملهما، أو يحادثهما أو يتحدّث عنهما معاً، ويأمر الصحابة بالتزام نهجهما، ويحملهما معاً ويتحدّث عنهما معاً: السبطان، الريحانتان، الإمامان: «قاما أو قعدا».
وقد أجمع المسلمون عبر القرون على أنّ هذا التوكيد ممّن قوله ..وحيٌ يُوحى، - وما ينطق عن الهوى - إنما هو حُجّة إلهيّة يُقيمها رسول الله على الأمة بكلّ أجيالها؛ مؤدّاها أن الحسنين النهجُ والمسار والمصير. فمَن أراد أن يكون محمديّاً بعد عليٍّ والزهراء عليهما السلام، فيجب أن يكون مع الحسنين عليهما السلام.

ترتبط الحياة السياسية للسبط الأكبر الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه ارتباطاً وثيقاً وعضوياً بحياة أخيه السبط الشهيد الإمام الحسين عليه السلام، فهما شريكان في حمل الأمانة الإلهيّة- النبويّة في حفظ الذكر وبقاء الإسلام، سواء على مستوى الموقف، أم على مستوى نتائجه وآثاره.

ولا يقتصر ذلك على الفترة التي عاشاها كإمامين، يتحمّلان بالفعل مسؤوليّة القيادة والهداية للأمة.. بل وينسحب أيضاً حتى على الفترة التي عاشاها في كَنَف جدّهما الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فضلاً عمّا تلاها من تحوّلات وتطوّرات في عهد الخلفاء الثلاثة، ثمّ إبّان تصدّي أبيهما أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه للإمامة الظاهرة.. بل إننا حتى بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام، لَنَجِدُ ملامح الآثار المباشرة لمواقفه عليه السلام على مُجمل المواقف والأحداث التي كان للإمام الحسين عليه السلام التأثير فيها، أو المسؤولية في صنعها..

وليس ذلك - فقط - لأجل أن دور أحدهما - كإمام - لا بدّ من أن يكون امتداداً لدور الآخر.. وإنما يُضاف إلى ذلك طبيعة الظروف التي رافقت حياتهما، والمسؤوليات المتميّزة التي فُرض عليهما القيام بها في تلك الفترة الزمنيّة، ذات الطابع الخاص جداً.. ولأجل ذلك.. فإنّ على من يريد البحث والتعرّف على الحياة السياسية لأحدهما عليه السلام، أن لا يُهمل النظر إلى حياة الآخر، وملاحظة مواقفه. بل لا بدّ وأن يبقى على مقربة منها، إذا أراد أن يستفيد الكثير ممّا يساعده على فهمٍ أعمق لما هو بصدد البحث فيه، ويهدف إلى التعرّف عليه، وعلى أسبابه، وعلى آثاره ونتائجه. "..."

***

عن الشعبي، قال: كنت عند الحجاج، فأُتِيَ بيحيى بن يعمر، فقيه خراسان، من بلخ مكبّلاً بالحديد، فقال له الحجاج: أنت زعمت أنّ الحسن والحسين من ذرية رسول الله؟ فقال: بلى. فقال الحجاج: لتأتيني بها واضحة بيّنة من كتاب الله (!!)، أو لأقطعنَّك عضواً عضواً. فقال: آتيك بها بيّنة واضحة من كتاب الله يا حجّاج. قال: فتعجبتُ من جرأته بقوله: يا حجّاج. فقال له: ولا تأتني بهذه الآية: ﴿..نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ..﴾ آل عمران:٦١. فقال: آتيك بها بيّنة واضحة من كتاب الله، وهو قوله: ﴿..وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ ..﴾ الأنعام:٨٤-٨٥. فمن كان أبو عيسى وقد أُلحق بذرية نوح؟!. قال: فأطرق الحجاج مليّاً، ثم رفع رأسه فقال: كأني لم أقرأ هذه الآية من كتاب الله.. حلُّوا وثاقه.. إلخ.

من كتاب (الحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام) للسيد جعفر مرتضى.

***

من الحديث النبويّ الشريف حول الحسنين عليهما السلام:

* أَحَبُّ أهل بيتي إليَّ: الحسن والحسين...
* أنتما الإمامان، ولأُمِّكما الشفاعة.
* أما الحسن فإنّ له هيبتي وسؤدُدي، وأما الحسين فإنّ له جرأتي وجُودي.
* عن حذيفة بن اليمان، قال: بتُّ عند رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ليلة فرأيت شخصاً، فقال لي النبي صلى الله عليه [وآله] وسلّم: هل رأيت؟ قلت: نعم. قال: فإنّ ملكاً هبط عليّ من السماء لم يهبط عليّ إلا ليلتي هذه، فبشَّرني أنّ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.
* عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقول: من أحبَّ الحسن والحسين فقد أحبّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني.

هَيْبَةُ الإمام الحسن عليه السلام نبويَّة

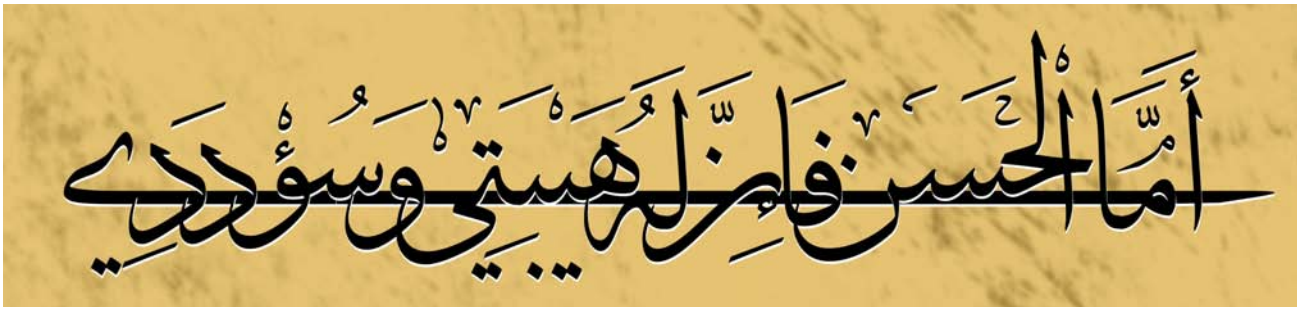

«أما الحسن فإنّ له هيبتي وسؤددي..».

هكذا تحدّث رسول الله صلى الله عليه وآله عن «هيبة» الإمام الحسن عليه السلام، فهل يُدرك القلب ملمحاً من ملامح هذه الهيبة النبويّة؟

ألا تؤدّي الغفلة عن هيبة المعصوم إلى الحكم عليه قياساً بأحجامنا؟

فإذا دار الحديث عن خوف المعصوم كما في قوله تعالى ﴿فخرج منها خائفاً يترقّب..﴾، طبّقنا ذلك على أنفسنا ونسبناه إلى المعصوم: النبيّ موسى أو الإمام الحسين عليهما السلام.

فكيف يتعامل القلب مع هيبة الإمام الحسن عليه السلام؟

هل يؤمن بها لمجرّد العصمة والقداسة، فلا يتفاعل معها إلا لماماً، أم أنّ القلب يُوقن بأنّ هيبة الإمام الحسن عليه السلام، قد قضَّت -حتى بعد الصُّلح- مضجع معاوية، وكلَّ طواغيت عصره من عُتاة قريش وفراعنة الأمويّين؟

ما يلي وقفة على أعتاب هيبة السبط الأكبر الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

وليس الهدف من استحضار هيبة السبط الأكبر عليه السلام، مجرّد التقديس وإن كان واجباً، بل المقصود بالذات أمران:

١- تصحيح العلاقة بالإمام الحسن عليه السلام وترشيدها، وتنقيتها من رواسب الأخطبوط الإعلامي الذي بدأ اختلاقَ مفرداته دهاقنةُ الأمويين من يهود وغيرهم - الثابت أنّ في الأمويّين خطّاً يهودياً، كما في مصادر كثيرة منها (المعارف) لابن قتيبة - وواكبت رفده الشيطاني الإمبراطوريتان الأمويّة والعباسيّة، وما يزال الكثير من هذه الرواسب في المصادر المختلفة يحول دون الوصول بيُسر إلى التفاعل مع حبّ الإمام الحسن عليه السلام، كما أوجب الله تعالى، وبلّغ سيدُ النبيّين.

٢- أن يتملّى القلب بَرْدَ اليقين بأنّ مشيئة الله تعالى قضت ببقاء الإسلام بتأييد الله سبحانه للإمام الحسن عليه السلام، ولولا قيادته الإلهيّة لمسيرة النبوّة في أحلك ظروفها لما بقي الإسلام.

**

لقد واجه الإمام الحسن عليه السلام المرحلة الأشد خطراً وحراجة وحساسية في تاريخ الرسالة الخاتمة، وكان عليه السلام مأموراً بالصبر و"الصلح" والتنحّي عن موقع السلطة "الرسمي"، وهو ما لم يبلغ حراجتَه الصبر الذي كان أبوه أمير المؤمنين عليه السلام مأموراً به، بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله.

بدأت إمامة الإمام الحسن عليه السلام في ظرفٍ سياسيٍّ شديد التعقيد، يُذكِّر بموازين القوى بين رسول الله وبين "دار الندوة"، وأبي جهل وأبي لهب، وسائر عُتاة قريش، إلا أن "دار الندوة" هذه المرة تتظاهر بالإسلام، وتحمل "قميص عثمان"، فإذا بأبي سفيان - عبر معاوية - وليُّ دم خليفة رسول الله. وهي لحظة سياسية لم تتمكّن من تغييرها دماء خمسة وعشرين ألف شهيد استُشهدوا بين يدَي أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام في صِفّين، بعدما قُتل من جيش "هُبل واللات والعُزّى" و"دار الندوة" خمسة وأربعون ألف مقاتل.

كان العنوان السياسي الأبرز لمرحلة ما بعد شهادة أمير المؤمنين وبدء تاريخ إمامة الإمام الحسن عليه السلام، غربة عليٍّ الثانية التي تجلّت بأمضّ صورها يوم استنفر الناس بعد حرب الخوارج في النهروان، للتوجّه إلى حرب معاوية في الشام، فالتووا واعتذروا: "فَنِيَت نبالُنا، وتثلّمت سيوفنا... نرجع إلى الكوفة لنستعد..."!

وفي الكوفة استنفرهم مجدّداً وجعل الموعد الرحبة، فلم يحضر إلا حوالي ثلاثماءة!! فقال عليه السلام: «**أمَا لو كانوا ألوفاً لكان لي بهم رأي**». وعاود استنفارهم وأرسل من يستنفر الناس من النواحي، وكان عليٌّ عليه السلام طيلة هذه الفترة باديَ الحزن، ظاهر الكآبة، حتى استُشهد قبل أن يرجع من أرسلهم لاستنفار الناس.

**

كان الجو السياسيّ في زمن الإمام الحسن عليه السلام، يعصف بمسارين:

الأول: أن تُعلن قريش- عبر معاوية - ارتدادها عن الإسلام، لتُعلن تحالفها مع "هرقل"، وتستأصل بالحرب بقيّة الصحابة الأبرار والموالين لأهل البيت عليهم السلام.

الثاني: أن تجد أنها قادرة على الحُكم باسم رسول الله والإسلام والقرآن، فتتخذ ذلك «سُلَّماً للإمرة» على حدّ تعبير أمير المؤمنين عليه السلام، فتحافظ على التظاهر بالإسلام وخلافة رسول الله، وما لا ينافي مصلحتها من مكانة رسول الله والقرآن الكريم وتقديسهما.

ومعنى ذلك أنّ الأمر كان يدور بين زوال الإسلام، وبين بقائه ولو «**لُبْسَ الفَرْوِ مقلوبا**» على طريقة معاوية وسائر شياطين الشجرة الملعونة في القرآن.

وكان "حفظ الذكر" يستدعي حسب الخطة الإلهية أن يكون القائد الإلهي الذي يتصدّى لمحاولة القضاء على الإسلام، فرعَ الحقيقة التي تمّ تثبيتها عندما نزل قوله تعالى ﴿..وإن لم تفعل فما بلَّغت رسالته..﴾ المائدة:٦٧، أي أن يكون المتصدّي لهذه المؤامرة الأخطر على الذكر، أكبر من الزمن، وفوق كلّ معادلات عالم المادة، ليكون بقاء الإسلام - بحول الله تعالى وقوّته - رهن موقفه الإلهيّ الذي لا يُقيم وزناً لكلّ الاعتبارات الدنيوية، حتى إن كانت بمثابة "حكم الدولة العظمى- القطب الأوحد آنذاك"، لأنّ الهدف السامي الذي يتطلّع إليه، أكبر من الدنيا وما فيها، وهو إقامة العدل في الدنيا لتنعم البشرية به في ظلّ حدود الله تعالى، وتنال رضى الله سبحانه في الدارين. ولا يمكننا فهم شيء من ذلك إلا عندما نستحضر حجم الصدمة التي ارتطم بها من لم يستطع فهم الخروج على معادلات الدنيا، فاعتبر الإمام الحسن "مُذلَّ المؤمنين"!! وقبل أن نبادر إلى إدانة من قال ذلك وأمثاله، علينا أن نتلمّس قلوبنا هل "تجد حَرَجاً!" أم أنّها "تسلّم تسليماً" لو واجهت مثل هذا الموقف. إنه موقفٌ يُشبهُه من بعيد موقفٌ تعرّض فيه نبيٌّ لامتحان مُشابه حين قتل العبدُ الصالح الغلام، وخرق السفينة وأقام الجدار، ولم يستطع النبيُّ معه صبراً.

فهل تستطيع يا قلب - بصدق - الصبر مع الإمام الحسن، بملءِ اليقين ببالغ الحكمة والمصلحة في موقفه عليه السلام؟

**

هنا بالذات تتجلّى الحاجة إلى "هيبة" الإمام الحسن عليه السلام، لتأخذ بأيدي العقول والقلوب إلى مشارف التفكير بموقفه النبويّ الإلهيّ الحكيم، والذي لولاه لما كانت كربلاء، ولما كان كلّ ما عندنا من عاشورائها الحسنيّة الحسينيّة العظيمة.

كانت الخطة الإلهيّة تقضي باستدراج قريش ومعاويتها وآل أبي سفيانها أجمعين إلى التظاهر باسم الإسلام، وتفويت فرصة إعلان ردّة اللات والعُزّى، التي همس بها أبو سفيان حين ظنّ أنه ليس في المجلس من يُحتشم منه، فقال: تلقّفوها يا بني أمية تلقّف الكرة، فوَالذي يحلف به أبو سفيان، لا جنّة ثمّ ولا نار، وإنما هو المُلك. وكان الطعم في هذا الإستدراج "زهرة الدنيا والسلطان"، وكلُّ ذلك تمهيدٌ ليوم يقول فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله عبر الحسين عليه السلام: «..ومثلي لا يُبايع مثلَه».

لم يكتفِ الإمام الحسن عليه السلام بعدم إعطاء أيّ شرعية لمعاوية، بل ثبّت عدم شرعيّته، وظلّ يُعلن ذلك إلى شهادته عليه السلام، سواءً في المناظرات العاصفة -التي تُعتبر من أهمّ الوثائق التاريخيّة المُضيّعة- في مجالس معاوية، أم في المجالس الخاصّة والعامّة في الكوفة ومكّة والمدينة. ولعلّ أشهر هذه المناظرات كما وثّقها الطبرسيّ في كتابه الوثائقي الشهير (الإحتجاج) هذه المناظرة:

رُوي عن [عدد من كبار المؤرخين] الشّعبي، وأبي مِخْنَف، ويزيد بن أبي حبيب المصري أنهم قالوا: لم يكن في الإسلام يوم في مشاجرة قوم اجتمعوا في محفل، أكثر ضجيجاً ولا أعلى كلاماً ولا أشدّ مبالغة في قول، من يوم اجتمع فيه عند معاوية بن أبي سفيان عمرو بن عثمان بن عفان، وعمرو بن العاص، وعتبة بن أبي سفيان، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، والمغيرة بن أبي شعبة، وقد تواطؤا على أمر واحد.

فقال عمرو بن العاص لمعاوية: ألا تبعث إلى الحسن بن علي فتُحضره، فقد أحيا سُنّة أبيه، وخفقت النعال خلفه، أمر فَأُطِيع، وقال فَصُدِّق، وهذان يرفعان به إلى ما هو أعظم منهما، فلو بعثت إليه فقصرنا به وبأبيه، وسببناه وسببنا أباه، وصغَّرنا بقدره وقدر أبيه، وقعدنا لذلك حتى [نصدق] لك فيه. فقال لهم معاوية: إني أخاف أن يُقلِّدكم قلايد يبقى عليكم عارها، حتى يدخلكم قبوركم، والله ما رأيته قطُّ إلا كرهتُ جنابَه، وهِبْتُ عتابَه، وإني إنْ بعثتُ إليه لأُنْصِفَنَّه منكم.

قال عمرو بن العاص: أتخاف أن يتسامى باطله على حقّنا، ومرضُه على صحّتنا؟ قال: لا، قال: فابعث إذاً إليه. فقال عتبة: هذا رأيٌ لا أعرفه، والله ما تستطيعون أن تلقوه بأكثر ولا أعظم ممّا في أنفسكم عليه، ولا يلقاكم بأعظم ممّا في نفسه عليكم، وإنه لأهل بيتٍ خَصِمٌ جَدِل. فبعثوا إلى الحسن، فلمّا أتاه الرسول قال له: يدعوك معاوية. قال: ومن عنده؟ قال الرسول: عنده فلان وفلان، وسمّى كلاً منهم باسمه.

فقال الحسن عليه السلام**: ما لهم؟ خَرَّ عليهم السقف من فوقهم، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون. ثمّ قال: يا جارية، أبلغيني ثيابي. ثمّ قال: "أللّهمّ إني أدرأُ بك في نحورهم، وأعوذ بك من شرورهم، وأستعينُ بك عليهم، فاكفنيهم بما شئت، وأنّى شئت، من حولك وقوّتك، يا أرحم الراحمين"، وقال للرسول: هذا كلام الفرج،**

فلمّا أتى معاوية رحّب به، وحيّاه وصافحه. فقال الحسن عليه السلام: إن الذي حيَّيتَ به سلامة، والمصافحةُ أمْن.

فقال معاوية: أجل، إنّ هؤلاء بعثوا إليك وعصوني ليُقرّوك: أنّ عثمان قُتل مظلوماً، وأنّ أباك قتله، فاسمع منهم، ثمّ أجِبْهم بمثل ما يكلّمونك، فلا يمنعك مكاني من جوابهم. فقال الحسن: فسبحان الله! البيتُ بيتُك والإذنُ فيه إليك! واللهِ لَئِن أجبتَهم إلى ما أرادوا إني لأستحيي لك من الفُحش، وإن كانوا غلبوك على ما تريد إني لأستحيي لك من الضعف، فبأيّهما تُقرّ، ومن أيّهما تعتذر...

ثمّ تُورد المناظرة افتراءات الحاضرين من بني أميّة على الإمام أمير المؤمنين والإمام الحسن عليهما السلام في كلام طويل، فتصل إلى جواب الإمام الحسن الذي افتتحه عليه السلام بالمقدّمة التالية:

ألحمد لله الذي هدى أوّلكم بأوّلنا، وآخركم بآخرنا، وصلّى الله على جدّي محمّدٍ النبيّ وآله وسلّم. إسمعوا مني مقالتي وأعيروني فهمكم، وبك أبدأ يا معاوية: إنّه لَعَمْرُ الله يا أزرق ما شتمني غيرُك، وما هؤلاء شتموني، ولا سبَّني غيرُك وما هؤلاء سبّوني، ولكن شتمتني وسببتني، فُحشاً منك، وسوءَ رأي، وبغياً، وعدواناً، وحسداً علينا، وعداوةً لمحمد صلّى الله عليه وآله، قديماً وحديثاً، وأنه والله لو كنت أنا وهؤلاء يا أزرق مشاورين في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله، وحولنا المهاجرون والأنصار ما قدروا أن يتكلّموا به، ولا استقبلوني بما استقبلوني به. فاسمعوا مني أيها الملأُ المجتمعون المتعاونون عليّ، ولا تكتموا حقاً علمتموه، ولا تصدّقوا بباطلٍ إن نطقتُ به، وسأبدأ بك يا معاوية، ولا أقول فيك إلا دون ما فيك.

أُنشدكم بالله، هل تعلمون أن الرجل الذي شتمتموه [أي أمير المؤمنين عليه السلام] صلّى القبلتين كلتيهما وأنت تراهما جميعاً وأنت في ضلالة تعبد اللّات والعُزّى، وبايع البيعتين كلتيهما؛ بيعة الرضوان وبيعة الفتح، وأنت يا معاوية بالأُولى كافر وبالأخرى ناكث. ثم قال: أُنشدكم بالله، هل تعلمون أنّ ما أقول حقّاً، أنّه لَقِيَكم مع رسول الله صلّى الله عليه وآله يوم بدر ومعه راية النبيّ صلّى الله عليه وآله والمؤمنين، ومعك يا معاوية رايةُ المشركين وأنت تعبد اللّات والعُزّى، وترى حرب رسول الله صلّى الله عليه وآله فرضاً واجباً، ولقيكم يوم أُحد ومعه راية النبيّ، ومعك يا معاوية راية المشركين، ولقيكم يوم الأحزاب ومعه راية رسول الله صلّى الله عليه وآله ومعك يا معاوية راية المشركين، كلّ ذلك يُفلج الله حجّتَه، ويُحِقُّ دعوتَه، ويُصدِّق أُحدوثتَه، وينصر رايتَه، وكلّ ذلك رسول الله يُرى عنه راضياً في المواطن كلّها ساخطاً عليك.

ثم أجاب عليه السلام، كُلّاً منهم بالحُجج النبويّة الساطعة، فظهروا لأنفسهم على حقيقتهم، وعجزوا أن ينبسوا ببنت شفة.

ثمّ قام الحسن فنفض ثيابه وهو يقول: ﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات..﴾ هم والله يا معاوية: أنت وأصحابك هؤلاء وشيعتك..﴿ والطيّبون للطيّبات..﴾ أولئك مبرّؤون ممّا يقولون، لهم مغفرة ورزق كريم، هم علي بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه وشيعتُه.

ثمّ خرج وهو يقول لمعاوية: ذُقْ وَبالَ ما كسبت يداك وما جَنَتْ، ما قد أعدّ الله لك ولهم من الخزي في الحياة الدنيا والعذابِ الأليم في الآخرة. فقال معاوية لأصحابه: وأنتم فذوقوا وبالَ ما جَنيتُم. فقال الوليد بن عقبة: واللهِ ما ذقنا إلا كما ذقت، ولا اجترأ إلا عليك. فقال معاوية: ألم أقلْ لكم إنّكم لن تنتقصوا من الرجل، فهلّا أطعتموني أوّل مرّة فانتصرتم من الرّجل إذ فضحكُم، فواللهِ ما قام حتى أظلم عليَّ البيت، وهممتُ أن أسطو به، فليس فيكم خيرُ اليوم، ولا بعدَ اليوم.

> **قام الإمام الحسن عليه السلام بالمهمّة الأخطر في باب حفظ الذكر بإذن الله، بما يعجز عن القيام به غير المعصوم من معدن سادة المعصومين.**

تتجلّى المهابة النبويّة من هذا النص إلى حدٍّ يستدعي أن يعيد المحمديّ النظر في ما عقد عليه القلب من مهابة رسول الله صلّى الله عليه وآله، ومهابة أهل البيت عليهم السلام. فهذا "كسرى العرب" معاوية كما وصفه "الخليفة الثاني" يعترف بأنه لم يرَ الإمام الحسن عليه السلام إلا هابه واستولت عليه هيبتُه له إلى أن يفارقه!! وهذا عمرو بن العاص "داهية العرب" كما يُقال، يتحدّث عن الآثار الإجتماعية- السياسية لهيبة الإمام الحسن عليه السلام، فيقول: "أحيا سُنَّة أبيه، وخفقتِ النعال خلفه، أَمَرَ فأُطيع، وقال فصُدِّق، وهذان يرفعان به إلى ما هو أعظم منهما!".

وهكذا يتجلّى بوضوح معنى ما قاله الإمام الحسن عليه السلام: «**إذا أردت عِزّاً بلا عشيرة، وهيبةً بلا سُلطان، فاخرج من ذلّ معصية الله، إلى عزّ طاعة الله عزّ وجلّ**»، ليُشكّل ذلك أساساً لتصحيح العقيدة بالمعصوم عموماً، والإمام الحسن عليه السلام بالخصوص، وليُوقن القلب بأنّه عليه السلام قام بالمهمّة الأخطر في باب حفظ الذكر بإذن الله عزّ وجلّ، بما يعجز عن القيام به غير المعصوم من معدن سادة المعصومين.

وعند شهادته أبّنه أخوه السبط أبو عبد الله الحسين بن عليّ عليهم السلام فقال: «**رحمَك الله يا أبا محمّد، إنْ كنت لتباصر الحقّ مظانّه، وتؤثر الله عند التداحض في مواطن التقيّة بحُسن الرويّة، وتستشفّ جليلَ معاظم الدنيا بعينٍ لها حاقرة، وتفيض [تقبض] عليها يداً طاهرة الأطراف، نقيّة الأَسرة، وتردع بادرة غرب أعدائك بأيسر المؤونة عليك، ولا غَرْوَ فأنت ابن سلالة النبوّة، ورضيع لُبان الحكمة، فإلى رَوْحٍ وريحان وجنّةِ نعيم، أعظم الله لنا ولكم الأجر عليه، ووهب لنا ولكم حُسنَ الأسى عنه**».

الكـــوفـــة

عـشيّة بيعة الإمام الحسن عليه السلام

صورة قديمة لمسجد الكوفة

لولا قوّة تأثير الإمام الحسن عليه السلام في خُطَبه، وعظيم مكانته في سامعيه، لما تألّف له جيش، ولا قامت له بعدهم قائمة.

خرج عليه السلام إلى الناس، غير ناظر إلى ما يكون من أمرهم معه، ولكنّه وقف على منبر أبيه، ليؤبِّن أباه بعد الفاجعة الكبرى في مقتله صلوات الله وسلامه عليه، فقال:

«لقد قُبض في هذه الليلة رجلٌ لم يسبقه الأوّلون، ولا يدركه الآخِرون. لقد كان يجاهد مع رسول الله فيقيه بنفسه، ولقد كان يوجّهه بِرايَته، فيكتنفه جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتّى يفتح الله عليه. ولقد تُوفّي في الليلة التي قُبض فيها موسى بن عمران، ورُفع بها عيسى بن مريم، وأُنزِل القرآن، وما خلّف صفراء ولا بيضاء إلاّ سبعمائة درهم من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله».

ووقف بحذاء المنبر في المسجد الجامع - وقد غصَّ بالناس - ابنُ عمه «عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب»، ينتظر هدوء العاصفة الباكية المرنّة، التي اجتاحت الحفل، في أعقاب تأبين الإمام الحسن لأبيه عليهما السلام.

ثم قال - بصوته الجهوريّ الموروث - الذي يدوّي في الأرض دويّ أصوات السماء، وما كان عبيد الله منذ اليوم، إلاّ داعي السماء الى الأرض:

«معاشرَ الناس هذا ابن نبيّكم، ووصيّ إمامكم، فبايعوه، يهدي به الله مَن اتّبع رضوانه سُبل السلام، ويُخرجهم من الظُّلمات إلى النور بإذنه، ويهديهم الى صراط مستقيم».

وفي الناس إلى ذلك اليوم، كثير مِمَّن سمع نصّ رسول الله صلّى الله عليه وآله، على إمامته بعد أبيه. فقالوا: «ما أحبّه الينا، وأوجَب حقّه علينا، وأحقّه بالخلافة». وبادروا إلى بيعته راغبين.

وكان ذلك يوم الواحد والعشرين من شهر رمضان، يوم وفاة أبيه عليه السلام، سنة أربعين للهجرة.

الكوفة عشيّة البَيعة

وكان على هذه الشاكلة من عناصر الكوفة إبّان بيعة الحسن عليه السلام أقسام من الناس، لنا أن نصنّفهم كما يلي:

١ - الحزب الأمويّ: وأكبر المنتسبين إليه عمرو بن حريث، وعمارة بن الوليد بن عقبة، وحجر بن عمرو، وعمر بن سعد بن أبي وقاص، وأبو بردة بن أبي موسى الأشعري، وإسماعيل وإسحق ابنا طلحة بن عبيد الله، وأضرابهم.

وفي هذا الحزب عناصر قويّة من ذوي الأتباع والنفوذ، كان لها أثرها فيما نُكِبت به قضيّة الحسن من دعاوات، ومؤامرات، وشقاق.

«فكتبوا إلى معاوية بالسمع والطاعة في السرّ، واستحثّوه على المسير نحوهم، وضمنوا له تسليم الحسن إليه عند دنوّهم من عسكره، أو الفتك به».

وفي ما يحدّثنا المسعودي في تاريخه: «أنّ أكثرهم أخذوا يكاتبونه - يعني معاوية - سرّاً، ويتبرّعون له بالمواعيد، ويتّخذون عنده الأيادي».

«ودسّ معاوية إلى عمرو بن حريث، والأشعث بن قيس، وحجّار

بن أبجر، وشبث بن ربعي دسيسةً، وآثر كلّ واحد منهم بعين من عيونه، إنّك إذا قتلت الحسن، فلك مائة ألف درهم، وجندٌ من أجناد الشام، وبنتٌ من بناتي. فبلغ الحسن عليه السلام ذلك فاستلأم (لبس اللأمة)، ولبس درعاً وكفّرها، وكان يحترز ولا يتقدّم للصلاة بهم إلاّ كذلك، فرماه أحدهم في الصلاة بسهم، فلم يثبت فيه لِما عليه من اللاّمة».

٢- الخوارج: وهم أعداء عليّ عليه السلام منذ حادثة التحكيم، كما هم أعداء معاوية.

وأقطاب هؤلاء في الكوفة: عبد الله بن وهب الراسبي، وشبث بن ربعي، وعبد الله بن الكوّاء، والأشعث بن قيس، وشِمر بن ذي الجوشن.

وكان الخوارج أكثر أهل الكوفة لجاجة على الحرب، منذ يوم البَيعة، وهم الذين شرطوا على الحسن عند بيعتهم له حرب الحالّين الضالّين - أهل الشام -، فقبض الحسن يده عن بيعتهم على الشرط، وأرادها على السمع والطاعة وعلى أن يحاربوا من حارب ويسالموا من سالم، فأتوا الحسين أخاه، وقالوا له: «إبسط يدك نبايعك على ما بايعنا عليه أباك يوم بايعناه، وعلى حرب الحالّين الضالّين أهل الشام». فقال الحسين: «**معاذ الله أن أُبايعكم ما دام الحسن حيّاً**». فانصرفوا إلى الحسن، ولم يجدوا بدّاً من بيعته على شرطه».

٣- الشكّاكون: ورأينا ذكر هؤلاء في ما عرضه المفيد رحمه الله من عناصر جيش الحسن عليه السلام. والذي يغلب على الظن، أنّ تسميتهم بالشكّاكين ترجع إلى تأثّرهم بدعوة الخوارج من دون أن يكونوا منهم، فهم المذبذبون، لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء.

ورأيت المرتضى في أماليه (ج ٣، ص ٩٣) يذكر «الشكّاك» استطراداً ويلوّح بكفرهم، وكأنّه فهم عنهم التشكيك بأصل الدِّين.

وكانوا طائفة من سكّان الكوفة ومن رُعاعها المهزومين، الذين لا نيّة لهم في خير، ولا قدرة لهم على شرّ، ولكنّ وجودهم لنفسه كان شرّاً مستطيراً، وعوناً على الفساد، وآلة مُسخَّرةً في أيدي المفسدين.

٤- الحمراء: وهم عشرون ألفاً من مسلّحة الكوفة (كما يُحصيهم الطبري في تاريخه). كانوا عند تقسيم الكوفة في السبع الذي وضع فيه أحلافهم من بني عبد القيس، وليسوا منهم، بل ليسوا عرباً، وإنّما هم المهجّنون من موالٍ وعبيد، ولعلّ أكثرهم من أبناء السبايا الفارسيّات اللاّئي أُخذْنَ في «عين التمر» و«جلولاء» من سنة ١٢ – ١٧هـ، فهُم حَمَلة السلاح سنة ٤١ وسنة ٦١ في أزمات الحسن والحسين عليهما السلام في الكوفة، فتأمّل.

والحمراء شرطة زياد الذين فعلوا الأفاعيل بالشيعة سنة ٥١ وحواليها، وكانوا من أولئك الذين يحسنون الخدمة حين يغريهم السوْم، فهم على الأكثر أجناد المتغلّبين، وسيوف الجبابرة المنتصرين.

وقويت شوكتهم بما استجابوا له من وقايع وفِتَن في مُختلف الميادين التي مرّ عليها تاريخ الكوفة مع القرن الأوّل. وبلغ من استفحال أمرهم في الكوفة أن نسبوها إليهم، فقالوا «كوفة الحمراء».

وكان في البصرة مثل ما في الكوفة من هؤلاء المهجَّنين الحمر. وخَشِي زياد - وكان والي البصرة إذ ذاك - قوّتهم فحاول استئصالهم، ولكنّ الأحنف بن قيس منعه عمّا أراد.

ووهم بعض كتّاب العصر، إذ نسب هؤلاء الى التشيّع، أبعد ما يكونون عنه آثاراً ونكالاً بالشيعيّين وأئمّتهم. ولا نُنكر أن يكون فيهم أفراداً رأوا التشيّع، ولكنّ القليل لا يُقاس عليه.

٥- الموالون: وكان إلى جنب هذه العناصر العدوّة في الكوفة «شيعة الحسن»، وهم الأكثر عدداً في عاصمة عليّ عليه السلام، وفي هؤلاء جمهرة من بقايا المهاجرين والأنصار، لحقوا عليّاً عليه السلام إلى الكوفة، وكان لهم من صحبتهم الرسول صلّى الله عليه وآله ما يفرض لهم المكانة الرفيعة في الناس.

وبرهن رجالات الشيعة في الكوفة على إخلاصهم لأهل البيت عليهم السلام، منذ نُودِي بالحسن للخلافة، ومنذ نادى - بعد خلافته - بالجهاد، وفي سائر ما استقبله من مراحل. ولو قُدِّر لهؤلاء الشيعة أن يكونوا - يومئذٍ - بِمَنجاة من دسائس المواطنين الآخرين، لكانوا العدّة الكافية لدرء الأخطار التي تعرّضت لها الكوفة من الشام، وكان في هذه المجموعة المباركة من الحيويّة والقابليّة ما لا يستطيع أحد نكرانه، ونعني بالحيويّة القابليّات التي تهضم المشاكل وتفهمها، وتعطيها الأهميّة المطلوبة في حلولها.

وما ظنّك بقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، وحِجر بن عَديّ الكندي، وعمرو بن الحمْقِ الخزاعي، وسعيد بن قيس الهمداني، وحبيب بن مظاهر الأسدي، وعديّ بن حاتم الطائي، والمسيّب بن نجبة، وزياد بن صعصعة، وآخرين من هذا الطراز.

أمّا الطوارئ المستعجلة المعاكسة، والأصابع المأجورة الهدّامة، فقد كانت تعمل دائماً، لتغلب هذه القابليّات، ولتغيّر من هذا التقدير.

السِّبط الأكبر

من الولادة إلى الشهادة

من أبرز ما كُتب عن السبط الأكبر الحسن المجتبى عليه السلام، كتاب «صلح الحسن عليه السلام» للفقيه الشيخ راضي آل ياسين قدّس سرّه.

ما يلي تلخيص وافٍ، يشكّل مسرداً مكثّفاً - وبتصرُّف - لسيرة الإمام الحسن عليه السلام، كما وردت في هذا الكتاب القَيِّم.

أبوه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وأمّه سيّدة نساء العالمين فاطمة بنت رسول الله، صلّى الله عليه وعليهم. ولا أقصر من هذا النسب في التاريخ، ولا أشرف منه في دنيا الأنساب.

مولده

وُلد في المدينة ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث للهجرة، وهو بِكر أبويه. أخذه النبيّ صلى الله عليه وآله فور ولادته، فأذّن في أُذُنه اليمنى، وأقام في اليسرى، ثمّ عقّ عنه، وحَلَق رأسه، وتصدَّق بِزِنة شعره فضّة، فكان وزنه درهماً وشيئاً. وأمر فطُلي رأسه طِيباً، وسُنَّت بذلك العقيقة والتصدّق بوزن الشعر. وسمّاه «حسناً»، ولم يُعرف هذا الاسم في الجاهليّة. وكنّاه «أبا محمّد»، ولا كنية له غيرها.

ألقابه: السبط، السيّد، الزكيّ، المُجتبى، التقيّ.

زوجاته

تزوّج «أم اسحق» بنت طلحة بن عبيد الله، و«حفصة» بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، و«هند» بنت سهيل بن عمرو، و«جعدة» بنت الأشعث بن قيس، وهي التي أغراها معاوية بقتله، فقتلته بالسمّ. ولا نعهد أنّه اختصّ من الزوجات - على التعاقب - بأكثر من ثمانٍ أو عشرٍ، على اختلاف الروايتين، بمن فيهنّ أمّهات أولاده. ونَسب الناس إليه زوجات كثيرات، صعدوا في أعدادهنّ ما شاؤوا.

أولاده

كان له خمسة عشر ولداً بين ذكر وأنثى، هم: زيد، والحسن، وعمرو، والقاسم، وعبد الله، وعبد الرحمن، والحسن الأثرم، وطلحة، وأم الحسن، وأم الحسين، وفاطمة، وأم سلمة، ورقيّة، وأم عبد الله. وجاء عَقِبُه من ولديه الحسن وزيْد، ولا يصحّ الانتساب إليه من غيرهما.

أوصافه

«لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله من الحسن بن عليّ عليه السلام خَلقاً وخُلقاً وهيئةً وهدياً وسؤدداً». بهذا وصفه واصفوه، وقالوا: كان أبيض اللون مشرّباً بِحُمرة، أدعج العينين، سهل الخدّين، كثّ اللحية، جعد الشعر ذا وفرة، كأنّ عنقه إبريق فضّة، حَسَن البدن، بعيد ما بين المنكبين، عظيم الكراديس، دقيق المسربة، ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير، مليحاً مِن أحسن الناس وجهاً. أو كما قال الشاعر:

قد جلّ عن طِيبِ أهل الأرض عنبرُه
ومِسكه فهو الطِّيب السماوي.

وقال واصل بن عطاء: «كان الحسن بن عليّ عليه السلام، عليه سيماء الأنبياء وبهاء الملوك».

بعضُ عبادتِه

حجّ خمساً وعشرين حجّة ماشياً، والنجائبُ لَتُقادُ معه، وإذا ذكر الموت بكى، وإذا ذكر القبر بكى، وإذا ذكر البعث بكى، وإذا ذكر الممرّ على الصراط بكى، وإذا ذكر العرض على الله تعالى ذكرُه شهق شهقةً يُغشى عليه منها، وإذا ذكر الجنة والنار اضطرب اضطراب السليم، وسأل الله الجنّة وتعوّذ بالله من النار. وكان إذا توضّأ، أو إذا صلّى ارتعدت فرائصه واصفرّ لونه. وقاسمَ اللهَ تعالى ماله ثلاث مرّات، وخرج من ماله لله تعالى مرّتين. ثمّ هو لا يمرّ في

قال محمّد بن اسحق: «ما بلغ أحدٌ من الشرف بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ما بلغ الحسنُ بن عليّ. كان يُبسَطُ له على باب داره، فإذا خرج وجلس انقطع الطريق، فما يمرّ أحد من خلق الله إجلالاً له، فإذا عَلِم قام ودخل بيته فيمرّ الناس».

شيء من أحواله إلاّ ذكر الله عزّ وجلّ. قالوا: «وكان أعبَد الناس في زمانه وأزهدهم بالدنيا».

أخلاقه

كان في شمائله آية الإنسانيّة الفُضلى، ما رآه أحد إلاّ هابَه، ولا خالطه إنسان إلاّ أحبّه، ولا سمعه صديق أو عدوّ وهو يتحدّث أو يخطب فَهَان عليه أن يُنهي حديثه أو يسكت.

قال ابن الزبير فيما رواه ابن كثير (ج ٨، ص ٣٧): «والله ما قامت النساء عن مثل الحسن بن عليّ». وقال محمّد بن اسحق: «ما بلغ أحدٌ من الشرف بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله ما بلغ الحسنُ بن عليّ. كان يُبسَطُ له على باب داره، فإذا خرج وجلس انقطع الطريق، فما يمرّ أحد من خلق الله إجلالاً له، فإذا علِم قام ودخل بيته فيمرّ الناس».

...أمَا علِمت أنّ المعروف ما كان ابتداءً من غير مسألة، فأمّا مَن أعطيته بعد مسألة، فإنّما أعطيتَه بِما بَذَلَ لك من وجهه، وعسى أن يكون بات ليلته متَململاً أرقاً، يميل بين اليأس والرجاء، لا يعلم بما يرجع من حاجته، أبِكآبة الردّ، أمْ بِسرور النجح، فيأتيكَ وفرائصه ترعد وقلبه خائف يخفق، فإن قضيتَ له حاجته فيما بذل من وجهه، فإنّ ذلك أعظم ممّا نال من معروفك.

ونزل عن راحلته في طريق مكّة فمشى، فما مِن خلق الله أحدٌ إلاّ نزل ومشى حتى سعد بن أبي وقاص، فقد نزل ومشى إلى جنبه. وقال مدرك بن زياد لابن عباس، وقد أمسك للحسن والحسين بالركاب وسَوَّى عليهما ثيابهما: «أنت أسَنّ منهما تمسك لهما بالرِّكاب؟». فقال: «يا لُكَع! وما تدري مَن هذان؟ هذان ابنا رسول الله، أوَ ليس ممّا أنعم الله عليّ به أن أُمسك لهما، وأُسوِّي عليهما!».

التواضع

وكان من تواضعه على عظيم مكانته، أن مرَّ بفقراء وضعوا كُسَيْرات على الأرض، وهم قعود يلتقطونها ويأكلونها، فقالوا له: هلمّ يا ابن رسول الله إلى الغداء! فنزل وقال: **إنّ الله لا يُحبّ المتكبّرين**، وجعل يأكل معهم، ثمّ دعاهم إلى ضيافته فأطعمهم وكساهم.

وكان من كرمه أن أتاه رجل في حاجة، فقال له: أكتب حاجتك في رقعة وارفعها إلينا. قال: فرفعها إليه فأضعفها له، فقال له بعض جلسائه: ما كان أعظم بركة الرقعة عليه يا ابن رسول الله! فقال: **بركتُها علينا أعظم، حين جُعِلنا للمعروف أهلاً، أمَا علِمت أنّ المعروف ما كان ابتداءً من غير مسألة، فأمّا مَن أعطيته بعد مسألة، فإنّما أعطيتَه بِما بَذَلَ لك من وجهه، وعسى أن يكون بات ليلته متَململاً أرقاً، يميل بين اليأس والرجاء، لا يعلم بما يرجع من حاجته، أبِكآبة الردّ، أمْ بِسرور النجح، فيأتيكَ وفرائصه ترعد وقلبه خائف يخفق، فإن قضيتَ له حاجته فيما بذل من وجهه، فإنّ ذلك أعظم ممّا نال من معروفك.**

ورأى غلاماً أسود يأكل من رغيفٍ لقمة، ويُطعم كلباً هناك لقمة، فقال له: ما حملك على هذا؟ قال: إنّي أستحي منه أن آكل ولا أُطعمه، فقال له الحسن: لا تبرح مكانك حتى آتيك. فذهب إلى سيّده، فاشتراه واشترى الحائط (البستان) الذي هو فيه، فأعتقه، وملَّكه الحائط.

وأخبار كرمُه صلوات الله عليه أكثر من أن تُحصى.

الحلم والزهد

وكان من حِلمه ما يوازن بَه الجبال - على حدّ تعبير مروان بن الحكم عنه. وكان من زهده ما خصّص له محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه المتوفّى سنة ٣٨١ هجري كتاباً سمّاه «كتاب زهد الحسن عليه السلام»، وناهيك بِمَن زهد بالدنيا كلّها في سبيل الدِّين.

ومن مناقبه

أنّه سيّد شباب أهل الجنة، وأحد الإثنين اللّذين انحصَرَتْ ذريّة رسول الله صلّى الله عليه وآله فيهما، وأحد الأربعة الذين باهل بهم النبيّ نصارى نجران، وأحد الخمسة أصحاب الكساء، وأحد الإثني عشر الذين فرض الله طاعتهم على العباد، وهو أحد المطهَّرين من الرِّجْس في الكتاب، وأحد الذين جعل الله مودَّتهم أجراً للرسالة، وجعلهم رسول الله صلّى الله عليه وآله أحد الثقلين اللّذين لا يضلّ من تمسَّك بهما. وهو رَيْحانة رسول الله صلّى الله عليه وآله، وحبيبه الذي يُحبُّه ويدعو الله أن يُحبَّ مَن أحبَّه. وله من المناقب ما يطول بيانه، ثمّ لا يحيط به البيان، وإنْ طال.

الوصيّة له

أوْصى اليه أمير المؤمنين عليه السلام عند شهادته قائلاً: «**يا بنيّ، أنت وليّ الأمر ووليّ الدم**»، وأَشهدَ على وصيّته الحسين ومحمّداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته، ودفع إليه الكتاب والسلاح، ثم قال له: «**يا بنيّ أمرني رسول الله أن أُوصي إليك، وأن أدفع**

إليك كُتبي وسلاحي، كما أوصى إليّ رسول الله ودفع إليّ كُتُبَه وسلاحه. وأمرني أن آمرك: إذا حضرك الموت أن تدفعها الى أخيك الحسين». ثمّ أقبل على الحسين فقال: «وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك هذا». ثمّ أخذ بيد عليّ بن الحسين وقال: «وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك محمّد. فأقرِئه من رسول الله ومنّي السلام».

البيعة

بُويع بالخلافة بعد وفاة أبيه عليه السلام، فقام بالأمر – على قصر عهده – أحسن قيام، وصالح معاوية في الخامس عشر من شهر جمادى الأولى سنة ٤١ – على أصحّ الروايات – فَحَفظ الدِّين، وحقن دماء المؤمنين، وجرى في ذلك وفق التعاليم الخاصة التي رواها عن أبيه عن جدّه صلّى الله عليهما. فكانت خلافته "الظاهرة" سبعة أشهر وأربعة وعشرين يوماً.

خطبته بعد البيعة

ويعود الإمام الحسن عليه السلام – بعد أن أُخذت البيعة له – فيفتتح عهده الجديد، بخطابه التاريخيّ البليغ، الذي يستعرض فيه مزايا أهل البيت وحقّهم الصريح في الأمر، ثمّ يصارح الناس فيه بما ينذر به الجوّ المتلبّد بالغيوم من مفاجآت وأخطار.

فيقول – وهو بعض خطابه –:

«نحن حزب الله الغالبون، وعِترة رسول الله الأقربون، وأهل بيته الطيِّبون الطاهرون، وأحد الثقليْن اللّذين خلّفهما رسول الله في أمّته، ثاني كتاب الله الذي فيه تفصيل كلّ شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالمعوّل علينا في تفسيره، لا نَتظنّن تأويله بل نَتيقّن حقائقه، فأطيعونا فإنّ طاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة، قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ..﴾ النساء:٥٩، وقال: ﴿.. وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ..﴾ النساء:٨٣». ثمّ يمضي في خطابه، ويردف أخيراً بقوله:

«وأُحذّركم الإصغاء لهتاف الشيطان فإنّه لكم عدوّ مُبين، فتكونون كأوليائه الذين قال لهم: ﴿.. لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ ..﴾ الأنفال:٤٨، فستلقون للرماح ورداً، وللسيوف جزراً، وللعُمُد حطماً، وللسهام غَرَضاً. ثمّ ﴿.. لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ ..﴾ الأنعام:١٥٨». ثمّ نزل من على منبره، فرتب العمّال، وأمَّر الأمراء ونظر في الامور.

الاستعداد للحرب

زاد الإمام الحسن عليه السلام في عطاء المقاتلة مائة مائة، وبادر إلى ضبط الوضع الأمنيّ.روى أبو الفرج الأصفهاني: وكتب الحسن إلى معاوية: أمّا بعد، فأنت دَسَسْت إليَّ الرجال، كأنّك تحبّ اللقاء، لا أشكّ في ذلك، فتوقّعه إن شاء الله، وبلغني أنّك شَمِتَّ بما لم يشمت به ذَوو الحجى (يشير إلى ما تظاهر به معاوية من الفرح بشهادة أمير المؤمنين عليه السلام)، وإنّما مثَلك في ذلك كما قال الأُوَل:

فإنّا ومـــن قـــد مات منّا لكالّذي
يـــــروح ويُمسي في المبيت ليغتدي
فَقُل للذي يبغي الخلاف الذي مضى
تجـــــهَّز لأخرى مثـــلها فَكَأَنْ قَدِ.

المبادرة إلى نهي معاوية عن شقّ عصا المسلمين

وكتب الحسن عليه السلام الى معاوية مع حرب بن عبد الله الأزدي:

مِن الحسن بن عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان. سلام عليك فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو. أمّا بعد، فإنّ الله جلّ جلاله بعث محمّداً رحمة للعالمين ومنّةً للمؤمنين، وكافّة للناس أجمعين، لِيُنذر مَن كان حيّاً ويحقّ القوْل على الكافرين. فبلّغ رسالات الله، وقام بأمر الله، حتى توفّاه الله غير مقصّرٍ ولا وانٍ، وبعد أن أظهر الله به الحقّ، ومَحَق به الشرك.

وخصّ به قريشاً خاصّة، فقال له: وإنّه لذكر لك ولقومك. فلمّا تُوفّي، تنازعت سلطانَه العربُ، فقالت قريش: نحن قبيلته وأُسرته وأولياؤه، ولا يحلّ لكم أن تنازعونا سلطان محمّد وحقَّه. فرأت العرب أنّ القول ما قالت قريش، وأنّ الحجّة في ذلك لهم على مَن نازعهم أمر محمّد، فأنعمت لهم وسلّمت إليهم.

ثمّ حاججنا نحن قريشاً، بِمثل ما حاججت به العرب، فلم تنصفنا قريش إنصاف العرب لها. إنّهم أخذوا هذا الامر دون العرب بالإنصاف والاحتجاج، فلمّا صرنا – أهل بيت محمّد وأولياءه – إلى محاجّتهم وطلب النصف منهم، باعدونا واستولوا بالاجتماع على ظُلمنا ومُراغمتنا والعَنَت منهم لنا. فالموعد الله، وهو الوليّ النصير.

ولقد كنّا تعجَّبنا لِتَوثُّب المتوثِّبين علينا في حقِّنا وسلطان بيتنا. وإذ كانوا ذوي فضيلة وسابقة في الإسلام، أمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدِّين أن يجد المنافقون والأحزاب في ذلك مغمزاً يثلمون به، أو يكون لهم بذلك سبب إلى ما أرادوا من إفساده.

فاليوم فليتعجَّب المتعجِّب من تَوَثّبك يا معاوية على أمرٍ لستَ من أهله، لا بفضلٍ في الدِّين معروف، ولا أثَر في الإسلام محمود. وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدى قريش لرسول الله صلّى الله عليه وآله ولِكتابه.

واللهُ حسيبُك، فَسَتَرِد عليه وتعلم لِمَن عُقبى الدار. وبالله لَتَلقينَّ عن قليلٍ ربّك، ثم ليَجزينَّك بما قدَّمَت يداك. وما اللهُ بظلاّمٍ للعبيد. إنّ عليّاً لمّا مضى لسبيله - رحمةُ الله عليه يومَ قُبِض، ويومَ منَّ الله عليه بالإسلام، ويومَ يُبعث حيّاً - ولّانى المسلمون الأمرَ من بعده. فأسأل الله أن لا يؤتينا في الدنيا الزائلة شيئاً يُنقصنا به في الآخرة ممّا عنده من كرامة. وإنّما حملني على الكتابة إليك، الإعذار فيما بيني وبين الله عزّ وجلّ في أمرك، ولك في ذلك، إن فعلتَه، الحظُّ الجسيم والصلاح للمسلمين.

فَدَع التمادي في الباطل، وادخل فيما دخل فيه الناس من بَيْعتي، فإنّك تعلم أنّي أحقّ بهذا الأمر منك عند الله وعند كلّ أوّابٍ حفيظ، ومَن له قلبٌ مُنيب، واتّقِ الله، ودَعِ البَغْي، واحقن دماء المسلمين، فوالله ما لك خير في أن تلقى الله من دمائهم بأكثر ممّا أنت لاقيه به. وادخل في السِّلم والطاعة، ولا تنازع الأمر أهله ومَن هو أَحقّ به منك، ليطفئ الله النائرة بذلك، ويجمع الكلمة ويصلح ذات البَيْن. وإن أنت أَبَيْتَ إلاّ التمادي في غيّك، سرْتُ إليك بالمسلمين، فحاكمتُك حتّى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

التخاذل عن الحرب معه

قالت النصوص التاريخيّة في ما ترفعه إلى الحارث الهمداني كشاهد عيان: «وركب معه - أيْ مع الحسن - مَن أراد الخروج، وتخلّف عنه خلق كثير لم يفوا بما قالوا وبما وعدوا، وغرّوه كما غرّوا أمير المؤمنين من قبله. وعَسْكَرَ في النخيلة عشرة أيّام، فلم يحضره إلاّ أربعة آلاف. فرجع إلى الكوفة ليستنفر الناس، وخطب خطبته التي يقول فيها: قد غرِرْتُموني كما غررتم مَن كان قبلي..».

أقول: ثمّ لا ندري على التحقيق عدد مَن انضوى إليه بعد ذلك، ولكنّا علِمنا أنّه «سار من الكوفة في عسكر عظيم»، على حدِّ تعبير ابن أبي الحديد في شرح النهج. وحديث الأمراء الذين أرسلهم لحرب معاوية، وبيعهم أنفسهم والجيش لمعاوية، حديث مشهور. ثمّ كانت خيانة القادة في جيش الإمام الحسن عليه السلام، وصولاً إلى الصلح، ودخول معاوية الكوفة.

الاجتماع في مسجد الكوفة

ونُوديَ في الناس الى المسجد الجامع، ليستمعوا هناك إلى الخطيبيْن الموقّعيْن على معاهدة الصلح. وكان لا بدّ لمعاوية، أن يستبِق إلى المنبر، فسبق إليه وجلس عليه، وخطب في الناس خطبته الطويلة، التي لم تروِ المصادر منها إلاّ فقراتها البارزة فحسب.

منها - على رواية اليعقوبي -: «أمّا بعد ذلكم، فإنّه لم تختلف أمّة بعد نبيّها، إلاّ غلب باطلها حقّها!!» - قال: «وانتبه معاوية لما وقع فيه. فقال: إلاّ ما كان من هذه الأمّة، فإنّ حقَّها غلب باطلها!!».

ومنها - على رواية المدائني -:

«يا أهل الكوفة، أترونني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحجّ، وقد علمتُ أنّكم تصلّون وتزكّون وتحجّون، ولكنّي قاتلتُكم لأتأمَّر عليكم وأَلِيَ رقابكم، وقد آتاني الله ذلك وأنتم كارهون! ألا إنّ كلّ دم أُصيب في هذه الفتنة مطلول، وكلّ شرط شرطْتُه فتحت قدميّ هاتين! ولا يُصلِح الناس إلاّ ثلاث: إخراج العطاء عند محلّه، وإقفال الجنود لوقتها، وغزو العدوّ في داره، فإنْ لم تغزوهم، غزوكم».

ورَوَى أبو الفرج الأصفهاني عن حبيب بن أبي ثابت مسنداً، أنّه ذكر في هذه الخطبة عليّاً فنال منه، ثمّ نال من الحسن!

وزاد أبو اسحق السبيعي في ما رواه من خطبة معاوية قوله: «ألا وإنّ كلّ شيء أعطيتُ الحسن بن عليّ تحت قدميّ هاتين، لا أَفي به!». قال أبو إسحق: «وكان والله غدّاراً».

ثمّ تطلّع الناس، فإذا هم بابن رسول الله الذي كان أشبههم به خَلقاً وخُلقاً وهيبة وسؤدداً، يخطو من ناحية محراب أبيه في المسجد العظيم ليصعد على منبره. وفي غوغاء الناس ولغٌ بالفضول لا يصبر عن استقراء الدقائق من شؤون الكبراء، فذكروا لجلجة معاوية في خطبته، ورباطة الجأش الموفورة في الحسن وقد استوى على أعواده، وأخذ يستعرض الجموع الزاخرة التي كانت تضغط المسجد الرحب على سعته، وكلّها - إذ ذاك - أسماع مرهفة لا همَّ لها إلاّ أن تعي ما يردُّ به على معاوية، فيما خرج به عن موضوع الصلح، فنقض العهود، وأهدر الدماء، وتطاول على الأولياء.

وكان الحسن بن عليّ عليه السلام أسرع الناس بديهةً بالقول، وأبرع الخطباء المفوّهين على تلوين الموضوعات، فخطب في هذا الموقف الدقيق، خطبته البليغة الطويلة، التي جاءت من أروع الوثائق عن الوضع القائم بين الناس وبين أهل البيت عليهم السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وَوعظ ونَصح ودعا المسلمين - في أوّلها - إلى المحبة والرضا والاجتماع، وذكّرهم - في أواسطها - مواقف أهله بل مواقف الأنبياء، ثم ردّ على معاوية - في آخرها - من دون أن يناله بِسبٍّ أو شتم، ولكنّه كان بأسلوبه البليغ، أوجعَ شاتم وسابّ.

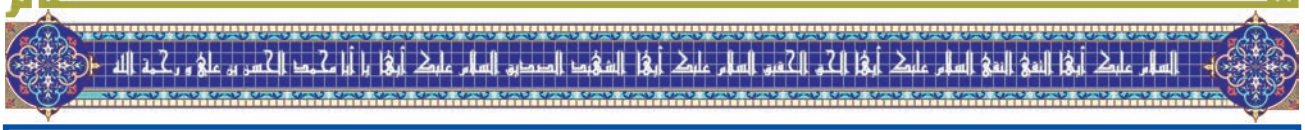

خطبة الإمام الحسن عليه السلام

«الحمد للّه كلّما حَمده حامِد، وأشهد أن لا اله إلاّ اللّه كلّما شهد له شاهد. وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى، وائتَمَنَه على الوحي، صلى اللّه عليه وآله وسلّم. أمّا بعد، فواللّه إنّي لأرجو أن أكون قد أصبحتُ بحمد اللّه ومنّه، وأنا أنصحُ خلق اللّه لخلقه، وما أصبحتُ محتملاً على مسلم ضغينة، ولا مريداً له سوءاً ولا غائلة. ألا وإنَّ ما تكرهون في الجماعة، خيرٌ لكم ممّا تحبّون في الفُرقة، ألا وإنّي ناظرٌ لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري، ولا تردّوا عليَّ رأيي. غفر اللّه لي ولكم، وأرشدني وإيّاكم لِما فيه المحبّة والرضا».

ثمّ قال: «أيّها الناس، إنّ اللّه هداكم بأوّلنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وإنّ لهذا الامر مدّة، والدنيا دُول. قال اللّه عزّ وجل لنبيّه محمّد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم: قل ﴿..وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ۝١٠٩ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ۝١١٠ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ الأنبياء: ١٠٩-١١١».

ثمّ قال: «.. وإنّ معاوية زعم لكم أنّي رأيته للخلافة أهلاً، ولم أرَ نفسي لها أهلاً، فكذب معاوية. نحن أَوْلى الناس بالناس في كتاب اللّه عزّ وجلّ وعلى لسان نبيّه. ولم نزل –أهل البيت– مظلومين منذ قبضَ اللّه نبيَّه. فاللّه بيننا وبين مَن ظلمنا، وتوثّب على رقابنا، وحمل الناس علينا، ومنعنا سهمنا من الفيء، ومنع أمّنا ما جعل لها رسول اللّه. وأقسمُ باللّه لو أنّ الناس بايعوا أبي حين فارقهم رسول اللّه، لأعطتهم السماء قَطرَها والأرض بركتها، ولما طَمعت فيها يا معاوية.. فلمّا خرجتْ من معدنها، تنازعتها قريشٌ بينها، فطمع فيها الطلقاء وأبناء الطلقاء، أنت وأصحابك. وقد قال رسول اللّه: ما ولّت أمّة أمرها رجلاً وفيهم من هو أعلم منه، إلاّ لم يزل أمرهم يذهب سفالاً، حتى يرجعوا إلى ما تركوا. فقد ترك بنو إسرائيل هارون وهم يعلمون أنّه خليفة موسى فيهم، واتّبعوا السامريّ، وتركت هذه الأمّة أبي وبايعوا غيره، وقد سمعوا رسول اللّه يقول له: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ النبوّة، وقد رأوا رسول اللّه نصب أبي يوم غدير خم، وأمرهم أن يُبلِّغ أمرَه الشاهدُ الغائبَ. وهرب رسول اللّه من قومه وهو يدعوهم الى اللّه، حتى دخل الغار، ولو أنّه وجد أعواناً لما هرب، كفّ أبي يده حين ناشدهم، واستغاث فلم يُغث. فجعل اللّه هارون في سِعةٍ حين استضعفوه وكادوا يقتلونه، وجعل اللّه النبيّ في سعة حين دخل الغار ولم يجد أعواناً. وكذلك أبي وأنا في سعة من اللّه، حين خذلتنا هذه الأمّة. وإنّما هي السُّنن والأمثال يتبع بعضها بعضاً».

ثمّ قال: «فوالذي بعث محمّداً بالحقّ، لا ينتقص من حقّنا – أهل البيت – أحدٌ إلاّ نقصه اللّه من عمله، ولا تكون علينا دولة إلاّ وتكون لنا العاقبة، ولَتعلَمُنَّ نبأه بعد حين».

ثم دار بوجهه إلى معاوية ثانياً، ليردّ عليه نيله من أبيه، فقال – وما أروع ما قال –:

«أيّها الذاكر عليّاً! أنا الحسنُ وأبي عليّ، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمّي فاطمة وأمّك هند، وجدّي رسول اللّه وجدّك عتبة بن ربيعة، وجدّتي خديجة وجدّتك فتيلة، فلعن اللّه أخملنا ذكراً، وألأمنا حسباً، وشرّنا قديماً وحديثاً، وأقدَمنا كفراً ونفاقاً!!».

قال الراوي: «فقال طوائف من أهل المسجد: آمين. قال الفضل بن الحسن: قال يحيي بن معين: وأنا أقول آمين. قال أبو الفرج قال أبو عبيد قال الفضل: وأنا اقول آمين. ويقول عليّ بن الحسين الأصفهاني (أبو الفرج): آمين، قال ابن أبي الحديد: قلت ويقول عبد الحميد بن أبي الحديد مصنِّف هذا الكتاب (يعني شرح النهج): آمين». أقول: ونحن بدورنا نقول: آمين.

وهذه الخطبة هي الوحيدة في تاريخ الخطابات العالمية، التي حظيت بهتاف الأجيال على طول التاريخ.

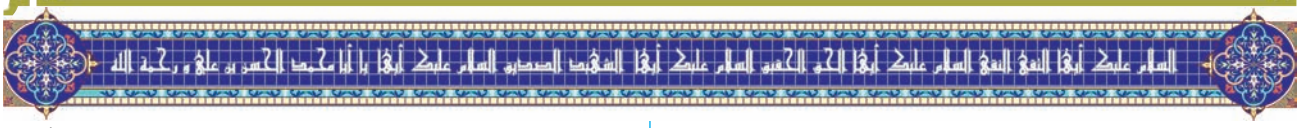

إلى المدينة

ورجع الإمام الحسن عليه السلام بعد توقيع الصلح إلى المدينة، فأقام فيها، وبيتُه حرمها الثاني لأهلها ولزائريها. وهو من هذين الحرمين، مشرقُ الهداية، ومعقل العلم، ومَوْئل المسلمين. ومن حوله الطوائف التي نفرت من كلّ فرقة لتتفقّه في الدِّين، ولتنذر قومها إذا رجعت إليهم. فكانوا تلامذته وحَمَلَة العلم والرواية عنه. وكان بما أتاح الله له من العلم، وبما مكّن له في قلوب المسلمين من المقام الرفيع، أقدر إنسان على توجيه الأمّة وقيادتها الروحيّة، وتصحيح العقيدة، وتوحيد أهل التوحيد. وكان إذا صلّى الغداة في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله جلس في مجلسه، يذكر الله حتى ترتفع الشمس، ويجلس إليه من يجلس من سادات الناس يحدّثهم. قال ابن الصباغ في (الفصول المهمة): «ويجتمع الناس حوله، فيتكلّم بما يشفي غليل السائلين ويقطع حجج المجادلين». وكان إذا حجّ وطاف بالبيت، يكاد الناس يحطمونه ممّا يزدحمون للسلام عليه عليه السلام.

الشهادة

سُقِي الإمام الحسن عليه السلام، السمّ مراراً، وأحسّ بالخطر في المرّة الأخيرة، فقال لأخيه الحسين عليه السلام: «**إنّي مفارقُك ولاحقٌ بربّي، وقد سُقيتُ السُمّ، ورميتُ بكبدي في الطست، وإنّي لعارفٌ بمن سقاني السمّ ومن أين دُهيت، وأنا أخاصمُه إلى الله عزّ وجلّ**».

ثمّ قال: «**وادفنّي مع رسول الله صلّى الله عليه وآله، فإنّي أحقّ به وببيته. فإن أبوا عليك، فأُنشدك الله بالقرابة التي قرّب الله عزّ وجلّ منك،**

والرحم الماسّة من رسول الله أن لا تهريق في أمري محجمةً من دم، حتى نلقى رسول الله صلّى الله عليه وآله فنختصم إليه، ونخبره بما كان من الناس إلينا». وأوصى إليه بأهله وبولده وتركاته، وبما كان أوْصى به إليه أبوه أمير المؤمنين عليه السلام، ودلَّ شيعته على استخلافه للإمامة من بعده.

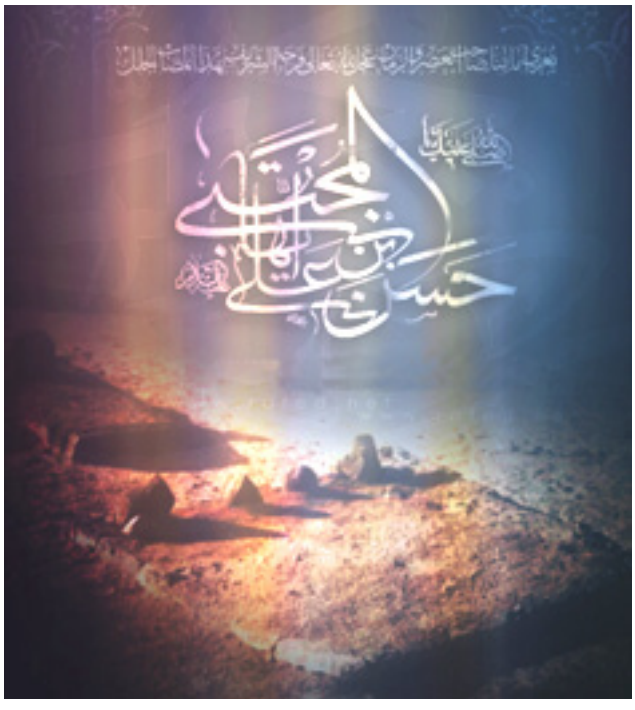

وتُوفّي صلوات الله عليه في اليوم السابع من شهر صفر سنة ٤٩ للهجرة.

قال أبو الفرج الأصفهاني: «وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد، فلم يكن شيء أثقل عليه من أمر الحسن بن عليّ وسعد بن أبي وقاص، فدسّ إليهما سمّاً فماتا منه».

وقد استعمل معاوية مروان بن الحكم، على إقناع جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي - وكانت من زوجات الحسن عليه السلام - بأن تسقي الحسن السمّ [وكان شربة من العسل بماء رومة]. فإن هو قضى نحبه زوّجها بيزيد، وأعطاها مائة ألف درهم.

وكانت جعدة هذه بحكم بُنُوَّتِها للأشعث بن قيس - المنافق المعروف - الذي أسلم مرّتين، بينهما ردّة منكرة، أقرب الناس روحاً إلى قبول هذه المعاملة النكراء.

قال الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: «**إنّ الأشعث شَرَك في دم أمير المؤمنين عليه السلام، وابنتُه جُعدة سمّت الحسن، وابنُه محمّد شرك في دم الحسين**». والنصوص على اغتيال معاوية الحسنَ بالسمّ متضافرة كأوضح قضيّة في التاريخ. ذكرها صاحب (الاستيعاب)، و(الإصابة)، و(الإرشاد)، و(تذكرة الخواصّ)، و(دلائل الإمامة)، و(مقاتل الطالبيّين)، والشعبي، واليعقوبي، وابن سعد في (الطبقات)، والمدائني، وابن عساكر، والواقدي، وابن الأثير، والمسعودي، وابن أبي الحديد، والمرتضى في (تنزيه الأنبياء). والطوسي في (أماليه)، والشريف الرضي في (ديوانه)، والحاكم في (المستدرك)، وغيرهم.

وقال في (البدء والختام): «وتوفّي الحسن سنة ٤٩ للهجرة. سمّته جعدة بنت الأشعث بما دسّه معاوية إليها، ومنّاها بزواج ولده يزيد، ثمّ نقض عهدها».

وقال ابن سعد في طبقاته: «سَمّه معاوية مراراً». وقال المدائني: «سُقي الحسن السمّ أربع مرّات». وقال الحاكم في مستدركه: «إنّ الحسن بن عليّ سمَّ مراراً. كلّ ذلك يسلم حتى كانت المرّة الأخيرة التي مات فيها، فإنّه رمى كبده».

فرح معاوية!

لم يملك معاوية نفسه من إظهار السرور بموت الحسن عليه السلام. «وكان بالخضراء، فكبّر، وكبّر معه أهل الخضراء، ثمّ كبّر أهل

المسجد بتكبير أهل الخضراء، فخرجت فاختة بنت قرظة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف [زوج معاوية] من خوخة لها، فقالت: «سَرَّكَ الله يا أمير المؤمنين، ما هذا الذي بلغك فسُرِرْتَ به؟». قال: «موت الحسن بن عليّ»، فقالت: «إنّا للّه وإنّا إليه راجعون»، ثمّ بكت وقالت: «مات سيّد المسلمين، وابن بنت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم»، فقال معاوية: «نِعمَّا والله ما فعلتِ، إنّه كان كذلك، أهلٌ أن يُبكَى عليه».

وزاد ابن قتيبة على هذا بقوله: «فلماّ أتاه الخبر، أظهر فرحاً وسروراً حتى سجد وسجد من كان معه. وبلغ ذلك عبد الله بن عباس - وكان بالشام يومئذ - فدخل على معاوية فلمّا جلس، قال معاوية: يا ابن عباس، هلك الحسن بن عليّ. فقال ابن عباس: نعم هلك. إنّا للّه وإنّا اليه راجعون ترجيعاً مكرّراً. وقد بلغني الذي أظهرت من الفرح والسرور لوفاته. أما والله ما سدَّ جسدُه حفرتك، ولا زاد نُقصانُ أجله في عمرك. ولقد مات وهو خيرٌ منك. ولئن أُصبنا به، لقد أُصبنا بمَن كان خيراً منه، جدّه رسول الله صلّى الله عليه و[وآله] وسلّم. فجبر الله مصيبته وخلف علينا من بعده أحسن الخلافة. ثمّ شهق ابن عباس وبكى من حضر في المجلس، وبكى معاوية. قال الراوي: فما رأيت يوماً أكثر باكياً من ذلك اليوم. فقال معاوية: كم أتى له من العمر؟ فقال ابن عباس: أمرُ الحسن أعظمُ من أن يَجهل أحدٌ مولده. قال: فسكت معاوية يسيراً ثمّ قال: يا ابن عباس، أصبحتَ سيّد قومك من بعده. فقال ابن عباس: أما ما أبقى الله أبا عبد الله الحسين فلا».

مدفنه

روى سبط ابن الجوزيّ بسنده إلى ابن سعد عن الواقدي: «إنّه لمّا احتضر الحسن قال: ادفنوني عند أبي - يعني رسول الله صلّى الله عليه وآله - فقامت بنو أمية ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص وكان والياً على المدينة فمنعوه! قال ابن سعد: ومنهم عائشة، وقالت: لا يُدفن مع رسول الله أحد».

وروى أبو الفرج الأموي الأصفهاني عن يحيى بن الحسن أنّه قال: «سمعت عليّ بن طاهر بن زيد يقول: لمّا أرادوا دفنه - يعني الحسن بن عليّ - ركِبَتْ بغلاً واستعونَتْ بني أميّة ومروان ومَن كان هناك منهم ومن حشمهم، وهو قول القائل: فيوماً على بغلٍ ويوماً على جمل».

وذكر المسعودي ركوب عائشة البغلة الشهباء وقيادتها الأمويّين ليومها الثاني من أهل البيت عليهم السلام. قال: «فأتاها القاسم بن محمّد بن أبي بكر فقال: يا عمّة ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر. أتريدين أن يُقال يوم البغلة الشهباء؟ فرجعت».

واجتمع مع الحسين بن عليّ خلق من الناس فقالوا له: «دعنا وآل مروان، فوالله ما هم عندنا إلاّ كأكلة رأس، فقال: **إنّ أخي أوصى أن لا أريق فيه محجمة دم. ولولا عهد الحسن هذا، لَعلمتُم كيف تأخذ سيوف الله منهم مأخذها. وقد نقضوا العهد بيننا وبينهم، وأبطلوا ما اشترطنا عليهم لأنفسنا**»، - يشير بهذا إلى شروط الصلح -. ومضوا بالحسن فدفنوه بالبقيع عند جدّته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.

وروى أبو جعفر الطبري (الشيعي) في كتابه (دلائل الإمامة): فلمّا فرغ الحسين عليه السلام من أمره وصلّى عليه، سار بنعشه يريد قبر جدّه رسول الله صلّى الله عليه وآله ليُلحده معه، فبلغ ذلك مروان بن الحكم طريدَ رسول الله، فذهب مسرعاً على بغلٍ حتى دخل على عائشة وقال: يا أمّ المؤمنين! إنّ الحسين يريد أن يدفن أخاه الحسن عند جدّه، "..".

قالت: فما أصنع؟ قال: إلحقي وامنعيه من الدخول إليه.

".." فأرادت بنو هاشم الكلام وحملوا السلاح، فمنعهم الحسين عليه السلام وقال: «**الله، الله أن تفعلوا، وتضيّعوا وصيّة أخي ...**».

التشييع المهيب

قال في الإصابة: «قال الواقدي: حدّثنا داود بن سنان، حدّثنا ثعلبة بن أبي مالك: شهدتُ الحسن يوم مات ودُفن بالبقيع، فلقد رأيت البقيع ولو طُرِحت فيه إبرة ما وقعت إلاّ على رأس إنسان».

وأبنّه أخوه محمّد بن الحنفيّة، وقد وقف على جثمانه الشريف، واليك نص تأبينه:

«رحمك الله أبا محمّد، فوالله لئن عزّت حياتك، لقد هدّت وفاتك. ونِعم الروح روحٌ عَمر به بدنُك، ونِعم البدن بدنٌ ضمّه كفنُك، ولِمَ لا تكون كذلك، وأنت سليل الهدى، وحليف أهل التقوى، وخامس أصحاب الكساء. غذّتك كفّ الحقّ، ورُبّيت في حِجر الإسلام، وأرضعتك ثديُ الإيمان. فطِب حيّاً وميتاً، فعليك السلام ورحمة الله، وإن كانت أنفسنا غير قالية لحياتك، ولا شاكّة في الخيار لك».

بُغاثُ الطّيرِ
انقَضَّ عليها أَجْدَل

مناظرات الإمام الحسن عليه السلام بابٌ مترامي الأطراف، يفيض بدقائق المعرفة، واللّطائف المفصليّة، والدلالات الوفيرة في السياسة والاجتماع والسُّنن الكونيّة، وهذا الباب قلّما يتمّ تناوله.
ويُعتبر كتاب (الإحتجاج) للطبرسيّ من مصادره الأم.
ما يلي نموذجٌ من هذه المناظرات.

مناظرته عليه السلام مع عمرو بن العاص ومروان بن الحكم وزياد بن أبيه:

رُوي أنّه اجتمع معاوية مع بطانته، فجعل بعضُهم يفخرُ على بعض، فأراد معاوية أن يضحك على ذُقونهم فقال لهم:

«أكثرتُم الفخر، فلو حضرَكم الحسنُ بنُ عليّ [عليهما السلام] وعبدالله بن عباس لَقَصَّرا من أَعِنَّتِكم ما طال».

فبعث إلى الإمام عليه السلام، إلى أن ذكر قولَهم، ثمّ قال عليه السلام:

«ليس من العجز أن يصمت الرجل عند إيراد الحُجَّة، ولكنْ من الإفك أن ينطق الرجل بالخنا، و يصوِّرَ البالطل بصورة الحقّ. يا عمرو! افتخارٌ بالكذب، و جُراءةٌ على الإفك، ما زلتُ أعرف مثالبك الخبيثة، أُبديها مرّةً وأُمسِك عنها أخرى، فتأبى إلّا انهماكاً في الضلالة. أَتذكُرُ مصابيح الدُجى، وأعلام الهدى، وفرسان الطراد، وحتوف الأقران، وأبناء الطعان، وربيع الضيفان، ومعدن النبوّة، ومهبط العلم؟ وزعمتُم أنّكم أحمى لِما وراء ظهوركم، وقد تبيّن ذلك يوم بدر، حين نكصت الأبطال، وتساورت الأقران، واقتحمت اللّيوث، واعتركت المنيّة، وقامت رحاها على قُطبها، وافترّت عن نابها، وطار شرار الحرب، فقتلنا رجالَكم ، وَمَنَّ النبيُّ على ذراريكم، فكنتم لَعَمري في ذلك اليوم غير مانعين لِما وراء ظهوركم من بني عبد المطّلب. وأمّا أنت يا مروان، فما أنت والإكثار في قريش؟ وأنت طليقٌ و أبوك طريد، يتقلّب من خِزيةٍ إلى سوأة، و لقد جِيء بك إلى أمير المؤمنين، فلمّا رأيت الضرغام قد دميت براثنُه، واشتكبت أنيابُه، كنتَ كما قال القائل:

ليثٌ إذ سَمِعَ اللّويثُ زئيرَه بَصْبَصْنَ ثمّ قَذَفْنَ بالأبعارِ.

فلمّا مَنَّ عليك بالعفو وأرخى خناقك بعد ما ضاق عليك، وغَصَصْتَ بِريقك، لم تقعد معنا مقعدَ أهل الشكر، ولكنْ كيف تُساوينا وتُجارينا، ونحن ممّا لا يُدركنا عارٌ ولا تلحقنا خِزية. وأمّا أنت يا زيادُ وقُريشاً، لا أعرف لك فيها أديماً صحيحاً، ولا فرعاً نابتاً، ولا قديماً ثابتاً، ولا منبتاً كريماً، بل كانت أُمُّك بغيّاً، تداولها رجالٌ من قريش، وفُجّار العرب، فلمّا وُلِدْتَ لم تعرف لك العربُ والداً، فادّعاك هذا - وأشارالى معاوية - بعد مماتِ أبيه. ما لك افتخارٌ.. تكفيك سُميّة، ويكفينا رسول الله صلّى الله عليه وآله، وأبي عليُّ بن أبي طالب عليه السلام سيّدُ المؤمنين الذي لم يرتَدَّ على عَقِبَيه، وعمي حمزة سيدُ الشهداء، وجعفرُ الطيّار، وأنا وأخي سيّدا شباب أهل الجنّة».

ثمّ التفت إلى ابن عباس، فقال:

«يا ابنَ العمّ، إنّما هي بُغاث الطير انقضَّ عليها أجدل». (أي: ضعاف الطير انقضّ عليها الصقر).